



الحائرة المغلفة

هنا البواب

أغلق السحاب، وسار باتجاه الباب، كان ذلك هو الفتيل الذي أشعل بكاء أمه، فهو يعرفها كم تتمسك بالدموع وكأنها بقية إرث، ولكنه لم يدرك لم يكت، فهي امرأة في الخمسين لها مشاعرها التي لن يستطيع إدراكها أي أحد، وهو ابن العشرين له تفكيره الطائش وعقلانيته المتمردة.

- ابتمس وشفتاه اللتان لم يلحظ انفراجهما همستا:

«مع السلامة يا أمي.. أراك على خير»

لم ترد عليه فقد غصت بدموعها.. لم ينتبه لها.. وأدار ظهره لتلك الدار الصغيرة التي حملت ذكريات طفولته وفقره.

أمسك مقبض الباب الخشبي حاول فتح الباب فلم يقو.. أحسّ وكان الدنيا أغلقت في وجهه...

التفت إليها وصرخ في وجهها:

«أين وضعت المفتاح... سأتأخر على القطار»

أشارت إلى زاوية المنزل المهترئ، فداهمت أنفه رائحة الدواء «العفنة» المترجة برائحة روث البهائم والدجاج، ورائحة جريد النخل الذي يُشكّل جزءاً من السقف المتهاك، رفع عينيه في بلاء، وهو يحكّ أنفه بظهر يده ويُفكر إلام تُشير والدته ياترى؟

لم ير سوى بقايا زجاج قد تحطّم منذ سنوات، وعلبة كبريت تحتل الزاوية، وزجاجات أدوية فارغة قديمة كانت تستخدمها والدته لعلاج «الروماتيزم» ولكن لسوء الحال لم يتمكن من إكمال علاجها، ورأى نافذة المنزل الوحيدة وعلى حوافها الصدأ، فاهتت أمامه البنات الكبيرة والشوارع الضخمة الثابتة المثبتة بأشجار النخل، لأول مرة يرى نفسه هائماً لا يعلم ماذا يريد وما تريد والدته!!

علي بُعد أمتار منه كانت والدته تجلس، دموع عينها تتلألأ بهدوء، لم ير هذه الدمعة من قبل همس قائلاً:

«أحتاج سنين طويلة حتى أفهم لهجة أمي»!!

شعر وكأن قلبه مثقل بالرحيل، فهو مختار بين ما تريده والدته ودموعها التي تملأ عينها، وبين موعد القطار الذي سيقلع بعد نصف ساعة تقريباً.

ورغم جهده مازالت الحقيقة مخبئة، أحسّ بخوف شديد، زادت

بقلم: فاطمة الدخيل

زنازين المحتل لا لذنب اقترفه، فقط لأنه تجراً وأطلق زفرة متأففة على الوضع الذي يعيشه.

شعر بغصة في حلقه، وكافح كي لا تغلت الدموع من عينيه. سمع من بعيد دوريات العدو وهي تجوب الطرقات بسياراتها المصفحة والعساكر فيها يطلقون قهقهاتهم التي تفوح منها رائحة التبيز المنتنة.. حملت إليه أفكاره صورة صديقه صابر، الذي مات برصاصة غادرة وهو يحاول أن يجلب بضع برتقالات لأخته المريضة.

- خالد.. ألم تنم بعد يا بني؟! لقد أوشك الفجر أن ينبلع.

انتفض على صوت أمه وهي تهتف بهذه العبارة.. من جديد تطلع إلى عينيها الناطقتين بالحزن الصامت.. لقد حسم قراره.

تناهى إليه صوت الأذان الدافيء، وهو يشق سكون الليل البهيم، قام بخفة، وقصد المسجد. وقبل أن يوصد الباب وراءه استدار إلى أمه في خطوات ثابتة، اقترب منها. وقبل ما بين عينيه. ثم توارى في حجب الظلام، مع أشعة الشمس الأولى من المنطقة انفجار عنيف، لقد انطلق خالد بعد صلاة الفجر في سيارة مصفحة، في خلسة من عساكرها، وشق طريقه نحو مخزن ذخيرة العدو، لقد كانت ابتسامته تغمر وجهه، وتكبيره يطغى على صوت المحرك.. وفي شجاعة بطولية وقوة فدائية اقتحم خالد المخزن. وفجر نفسه معه.. واستيقظ الشعب.

رغم استشهاد خالد في هذه العملية. إلا أنه مازال خالداً، ففي كل ليلة كانت تُسمع انفجارات متعددة في مواقع العدو، ويوماً بعد يوم احتدم الغضب في نفس الشعب المقهور، فانطلق منتفضاً يسقط قلاع الظلم ليحقق الحرية





أفلام واحدة

قبضته على حقيبته، وزادت نظراته لزوايا المنزل العتيق.

عافت نفسه الانتظار وكره منظر وقوفه هكذا.. فانطلق صارخاً صرخة شقت ذلك الصمت:

يا أمي أريحييني ودعيني أسافر، لن أتأخر سنة أو سنتين وسوف أرجع لأجعلك تعيشين في عزٍ ونعيم، حفظك الله لا تؤخريني عن موعد القطار قولني بسرعة ماذا تريدان مني؟ فجأة اجتمعت سحب السماء منذرة بالبكاء المر، فحاول أن يقطع دموع أمه وقد لفته الحسرة والخوف في عينيها، اقترب منها وهو يمتلي خوفاً ربما من صغطة تصيب وجهه، أو ربما يخشى أن تتسخ ملابسه الجديدة من أرض هذا المنزل.

أخذ يقترب منها، والمنزل هادئ.. لا يوجد سوى صفير العصافير، وصوت قطة تختبئ تحت الكرسي الخشبي، ما إن اقترب من يدها - التي لاتزال تشير إلى الزاوية - حتى دوت في الأفق طلقة كأنها برق فزع منها كل أهل القرية، حتى العصافير تركت مكانها، أمسك يدها واستقام أمامها، نظر في عينيها السوداوين فرأهما زائغتين في وجهه، تبحث عن شيء ما، تزداد حبات دموعها هطولاً، تختلط

بدموعه فيقبل يدها فتختلط دموعهما فتبلل شاربيه، فيدفن وجهه في كم ثوبها لتجفف له دموعه.

عندها دوى صوت قوي أفزعهما فإذا به يلقي الحقيبة من يده، وعندها..

عندها انتهت الزوبعة، وتبددت الوحشة، فانبعثت في نفسه ذكريات الصبا الجميلة، تذكر اللحظات التي أغضب فيها والدته، ولعن أفكار السوء، فابتعت في قلبه خفقات لذينة ونشوة غريبة.



]]]

كفاح أرمل

في ليلة من ليالي الخريف الباردة، تساقطت ورقة مصفرة من شجرة البلوط الضخمة، لتستقر على أرضية الحديقة المهجورة لولا ذلك الضوء الضئيل الذي كان يتسلل من الكوخ الذي يقبع خلفها في الوقت الذي كانت تودع فيه الشمس سفوح جبال الجولان لتطوي صفحة أخرى في حياة تلك الأرملة.

بينما كانت هي منهمكة في إعداد العشاء، إذ بها تسمع صوت طرقات على الباب، فأسرعت بفتحها المهترئ، وثوبها البالي، والذي ملؤه الترقيع، وفتحت الباب بيدين مرتجنتين، فهي لا تنتظر أحداً في مثل هذا الوقت، فتحت الباب لتجد أمامها شخصاً يذكروها بالماضي، فعادت بذاكرتها إلى الوراء، استرجعت شريط حياتها السينمائي إلى ما قبل الاثني عشر عاماً وبدأت الصور تكتمل أمام عينيها، فلنحلق معها في عالم الذكريات لنرى ماتذكرته...

كان ذلك منذ أمد بعيد، في صبيحة يوم الثلاثاء، كانت حياة العائلة والمكونة من السيدة «سعدية» وابنتها «لينة» وأبنائها الثلاثة: زياد، وعمار، وأدهم، والسيد صابر - أبو الأبناء - على ما يرام كما هو الحال كل يوم؛ لولا أن حدث ما حدث.. فبينما تتناول الأسرة طعام الإفطار، متحدثات عن أعباء الحياة، حدث فجأة.. أن اقتحم المنزل جنود إسرائيليون قبضوا على السيد صابر مدعين أنه كان يمول حركة حماس الإرهابية وهو ثابت في مكانه لم يتحرك ولم ينبس بكلمة!

أصاب الذعر الجميع، فقد ظنوا أن الجنود أخذوا كفايتهم من استجواباتهم الأخيرة فأخر مرة كانت قبل شهرين ونصف، عاد بعدها السيد صابر وقد استحال إلى كائن بشري ضعيف يهشمه المرض.. والذل.. والهوان.. فقد أصبح مريضاً بالسكر بعد أن كان مريضاً بالضغط أصلاً.. لم يرخص لقبضة الجندي في البداية ولكن ماجدوى ذلك والجندي قد أحكم قبضته الآن..؟ كان يرفض ذلك الظلم في قرارة